الغ بك

- بين الحكم والعلم

لفرمي حافظ طوقان

نشأ ألغ بك في القرن الخامس عشر للميلاد في بيت امارة وسلطان فقد كان والده يحكم بلاداً كثيرة ومقاطعات واسعة واتخذ هراة مركزاً له وعاصمة للملك

ولد في سلطانية عام (٧٩٦ هـ — ١٣٩٣ م) وظهرت عليه علامات النجابة والذكاء مما حدا بوالده أن ينصبهُ أميراً على تركستان وبلاد ماوراء النهر ولما يبلغ عشرين عاماً . وقد جعل ألغ بك سمرقند مركزاً لأمارته وبقيت كذلك زهاء ٣٩ سنة استطاع فيها أن يقوم بأعمال جليلة ويسدي خدمات جلى للعلوم والفنون على الرغم من اضطراب الحالة ومحاولة بعض الأمراء ازعاجه بالتعدي على حدود بلاده . ولولا والده الذي احاطهُ بعنايته وعمل على دفع كل اعتداء عليه لما استطاع أن يصمد للصعاب التي كانت تنتابهُ بين آونة واخرى

وفي منتصف القرن الخامس عشر للميلاد (حوالي ٨٥٠ هـ — ١٤٤٧ م) توفي والده وانتقل الحكم اليه وجلس على عرش هراة . ومن هنا بدأت النكبات بالأنصباب عليه من كل جانب فقام بعض امراء الولايات يطلبون الانفصال كما قام آخرون يكيدون له ليؤول العرش الى ابنه عبد اللطيف . ومن الغريب ان امه كانت تسند هؤلاء وتضدهم فظن (ألغ بك) انها تعين علاء الدولة وهو مطالب آخر بالعرش فسجنها وكان ذلك بعد وفاة والده شاهرخ بأيام قلائل ، « .. وذهب بها سجينة الى سمنان ثم غادر المدينة الى هراة ففتحها ونادى بنفسه حاكماً عليها .. »[1] ثم حدث بعد ذلك أن قام بعض الامراء فاستولى احدهم على شيراز واستولى آخر على كابل وغزنة وثالث على جرجان ومازندران وأحاطت به الصعاب وتخللها حروب دامية ومعارك حامية انتهت بالقضاء عليه. فلقد ثار ولده عبد اللطيف واستولى على بلخ وهزم اباه

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة) مج ٢ ص ٥١٥

وأخاه عبد العزيز عند شاهرخيه وقد سلم اباه (ألُغ بك) الى عبد قارمي يدعى جاساً فقتله بمدينة كاشة صورية وكان ذلك عام (٨٥٣ هـ — ١٤٤٩ م) بعد ان حكم عامين وثمانية أشهر . ويُرجع العلماء سبب ما وقع بين ألُغ بك وولده عبد اللطيف الى اعتقاد الاول بالتنجيم فلقد دلتهُ أحكام النجوم على ان الثاني (أي ولده) سيتولى عليه ويقتله ، ولذلك كان يرى المصلحة في ابقائه بعيداً عنهُ مما أدى الى تأصل حقد وشحناء بين الاثنين . ويرى بعض الباحثين ان الابعاد لم يكن العامل الوحيد لما حدث بينهما فهناك عوامل أخرى لا نقل شأناً عن (الابعاد) فلقد وضع (ألُغ بك) أسم ابنه عبد العزيز بدل اسم عبد اللطيف في وصفه لوقفة (رباب) « ويقال ايضاً ان الأب رفض ان يعيد لابنه ما كان يحفظه في هراة من مال وسلاح . . . » (١)

***

أما في ميادين العلوم والفنون فقد كان ألُغ بك اكثر توفيقاً ولا شك انهُ لولا ما انتاب حكمه من محن ومصائب ولولا انشغاله في دنياه والوقاية منها — وقد استغرقت كثيراً من جهده ووقته — لولا هذه لتقدمت بعض فروع المعرفة اكثر من التقدم الذي أصابها في عهده ولكان التاج العلمي أغزر وثمار المواهب أينع

كان صاحبنا أديباً لهُ مشاركة في العلم والفن « وقد حقق احلام تيمور بأن جعل سمرقند مركز الحضارة الاسلامية . . . » جمع فيها كثيراً من فحول الادباء وكبار الرياضيين وأعلام الهيئة أمثال جمشيد وقاضي زاده رومي والشاعر عصمت البخاري وميرم چلبي وطاهر الابيوردي ورستم الخورياني ومعين الدين الكاشاني وغيرهم

أنشأ بسمرقند مدرسة عالية بها حمام مزخرف بالفسيفساء البديعة وعهد بادارتها الى قاضي زاده رومي . وبنى مرصداً زوّده بكل الآلات والادوات المعروفة في زمانه وقد زين احدى دوائره بنقوش تمثل الاجرام السماوية المتعددة جاءت غاية في الاتقان والابداع فأمهُ الناس من مختلف الجهات للتفرج عليه وكان في نظرهم إحدى عجائب الدنيا . امتاز هذا المرصد بآلاته الدقيقة ويقول صالح زكي : « . . . وامتاز المرصد بآلاته الكبيرة وهي من الدقة على جانب عظيم وفيها ربع الدائرة التي استعملت لتعيين قطب ارتفاع النقطة الموجود عليها المرصد . . »

(١) دائرة المعارف الاسلامية مج ٢ ص ٥١٧

ويقول (L. Bouvat) : « . . واستطاع المترجم (اي الُغ بك) في اثناء عمله معهم (اي مع كبار الفلكيين) استنباط آلات جديدة قوية تعينهم في بحوثهم المشتركة . . . »

***

وقد بُدئت الارصاد عام ٧٢٧ هـ وفُرغ منها عام ٨٣٩ هـ وعُهد لغياث الدين جمشيد وقاضي زاده رومي باجراء الارصاد بقصد تصحيح بعض الارصاد التي قام بها فلكيو اليونان اذ رأى أن حساب التوقيعات للحوادث على ما قرره بطليموس لا يتفق والارصاد التي قام بها هو وكان من ذلك زيجه السلطاني الجديد الذي يقول بشأنه صاحب كشف الظنون : « . . . زيج ألغ بك محمد بن شاهرخ اعتذر فيه من تكفل مصالح الامم فتوزع باله وقل اشتغاله ومع هذا حصر الهمة على احراز قصبات طريق الكمال واستجماع مآثر الفضل والافضال وقصر السعي الى جانب تحصيل الحقائق العلمية والدقائق الحكمية والنظر في الأجرام السماوية فصار له التوفيق الالهي رفيقاً فانتقشت على فكره غوامض العلوم فاختار رصد الكواكب فساعده على ذلك صلاح الدين المشهور بقاضي زاده الرومي وغياث الدين جمشيد ، فاتفق وفاة جمشيد حين الشروع فيه وتوفي قاضي زاده ايضاً قبل تمامه فكمل ذلك باهتمام ولد غياث الدين المولى علي بن محمد القوشجي الذي حصّل في حداثة سنه غالب العلوم فما حقق رصده من الكواكب المنيرة اثبتهُ ألغ بك في كتابه . . » [1] وبذلك استطاع ألغ بك أن يكمل زيجه المشهور (زيج كوركاني) او (زيج جديد سلطاني) الذي بقي معمولاً به ومعترفاً بفضله بين المنجمين في الشرق والغرب بضعة قرون [2] وعلي القوشجي المذكور ذهب الى بلاد الصين باذن ألغ بك وضبط قياس درجة من خط نصف النهار ومقدار مساحة الارض [3] . ويحتوي الزيج السلطاني على اربع مقالات :

الاولى : في حساب التوقيعات على اختلافها والتواريخ الزمنية وهي على مقدمة وخمسة ابواب . وقد أبان في المقدمة الباعث الى وضع الزيج كما أشاد بفضل الذين عاونوه

الثانية : في معرفة الاوقات والمطالع في كل وقت وهي اثنان وعشرون باباً

الثالثة : في معرفة سير الكواكب ومواضعها وهي ثلاثة عشر باباً

الرابعة : في مواقع النجوم الثابتة

---

(١) كاتب — كشف الظنون ج ص ١٣ — ١٤

(٢) مت — تاريخ الرياضيات — ج ١ ص ٢٨٩ وكتاب تراث الاسلام ص ٣٩٤

(٣) سيديو — خلاصة تاريخ العرب — ص ٢٣٢

ويعترف صاحب كشف الظنون وصالح زكي ان هذا الزيج هو من أحسن الازياج وأدقها. وقد شرحه ميرم چلبي وعلي القوشجي واختصره الشيخ محمد بن أبي الفتح الصوفي المصري [١] وطبع لأول مرة في لندن [٢] سنة ١٦٥٠ م ونقل فيما بعد الى اللغات الاوربية، ونشرت جداوله في الافرنسية سنة ١٨٤٧ م [٣] كما نشر (كنوبل) ثبت النجوم بعد ان راجع جميع المخطوطات في مكتبات بريطانيا وأضاف حاشية عربية وفارسية وكان ذلك عام ١٩١٧ م [٤]. ويقول سيديو عن اعمال ألغ بك الفلكية : « . . . فكانت تتمة ضرورية للاعمال الفلكية المأثورة عن العرب .. » واشتغل صاحب الزيجة ايضاً بالمثلثات وجداوله في الجيوب والظلال ساعدت على تقدم هذا العلم [٥] واعتنى بفروع علوم الرياضيات الاخرى ولا سيما الهندسة وله فيها جولات وكثيراً ما شغل نفسه في حل اعمالها العويصة ومسائلها المعقدة. ولم يقتصر اهتمام ألغ بك على الفلك والرصد والرياضيات بل تبين لنا من سيرته انه كان فقيهاً أكبَّ على دراسة القرآن الكريم وحفظهُ وجودهُ على القراءات السبع. وفوق ذلك شغف بالشعر وقرَّب الشعراء واتخذ احدهم شاعراً لنفسه ، وعني بالتاريخ ووضع في تاريخ ابناء جنكيزخان الاربعة كتاباً عنوانه (اوغلوسي اربع جنكيزي) ويقول Le Bouvat : « . . . ويظهر انه ضاع ولو بقي لأصبح جليل القيمة في تاريخ ابناء جنكيز خان . . . » [٦]

***

وقبل الختام لا بدَّ لنا من الاشارة الى ان ألغ بك كان عمرانيًّا ذا ذوق فني وقد دفعه هذا الذوق الى العناية بالبناء فشيد (الخانقاه) التي تبها أعلى قبة في العالم والمسجد المقطع وزخرف داخله بالخشب المقطع الملوَّن على النمط الصيني ومسجد شاه زنده « والقصر ذا الاربعين عموداً بأبراج اربعة شاهقة والمزين بصف من عمد المرمر . . . » وأبنية أخرى كقاعة العرش او (الكرمشخانة) و (حجي خانه) ملأ حوائطه بالصور والنقوش الصينية [٧]

(١) كاتب چلبي — كشف الظنون ج٢ ص ١٤
(٢) تراث الاسلام ص ٣٩٧
(٣) سمث تاريخ الرياضيات — ج ١ ص٢٨٩
(٤) دائرة المعارف الاسلامية — ج٢ص ٥١٥
(٥) سمث تاريخ الرياضيات — ج ٢ص ٦٠٩
(٦) دائرة المعارف الاسلامية مج ٢ ص ٥١٣
(٧) راجع دائرة المعارف الاسلامية مج ٢ ص ٥١٣ — ٥١٤